استراتيجية التعريب

للاستاذ : عبد العزيز بنعبد الله

ان العروض والتدخلات التى استمعنا اليها فى «ندوة استراتيجية التربية والتعريب» قد افادتنا جميعا بقدرما اكدت لى شخصيا فعالية المنهجية التى اختارها مكتب تنسيق التعريب فى خصوص الشق الجوهرى من رسالة هذه الندوة اى التعريب وهو شق تبرز كل ابعاده عندما ينوس من خلال منهجية موازية تستهدف توحيد مناهج التربية فى الوطن العربى وهذان الهدفان من اجلهما اسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

واذا كان من المفيد استعراض المباديء العامة لهذه الوحدة خاصة فى التعريب فانه لا يكفى ان نقف عند هذه المباديء لا سيما وان العالم العربى ظل يرددها فى حماس منذ عقود من السنين وهى مباديء لا تزيدها طفرات دولاب الحياة المعاصرة فى حركيته الديناميكية الا استحثاثا للخروج من الحيز النظري الى حيز العمل ولذلك فان مكتب تنسيق التعريب بعد دراسات وتجارب قام بها خلال ازيد من عشر سنوات تبلورت لديه منهجية منطقية رصينة ادت الى وضع نحو الخمسين معجما فى شتى مجالات الفكر والتكنولوجية والعلوم بثلاث لغات هى العربية والفرنسية والانجليزية ولكن ...! هنا يجب ان نتوسع فى هذا التساؤل فى نقد ذاتى نستشف من مضامينه جوانب النقص واسباب الضعف والتعثر .

صحيح اننا وحدنا المصطلح العلمى الى نهاية السلك الثانوي خلال مؤتمر التعريب الثانى الذي انعقد فى الجزائر عام 1973 وصحيح اننا ذهبنا ابعد من ذلك فاعددنا خطة محكمة لاستكمال توحيد هذا المصطلح فى باقى مواد السلك الثانوي وجزء من العالى خلال المؤتمر الثالث الذي سينعقد بحول الله اوائل عام 1977 بتونس او بغداد وسيعقبه مؤتمر رابع يستكمل قبل 1980 توحيد بقية مصطلحات التعليم باسلاكه الثلاثة فى التكنولوجية والعلوم .

صحيح ايضا اننا وضعنا معاجم موازية للقطاع الاداري ولشتى المجالات الحضارية فى المصنع والمخبر والمتجر والمنزل والشارع وغير ذلك .

كل هذا صحيح ولكن حذار من ان نستكين الى ذلك فنظن ان المشكل قد حل لان هنالك عوامل مختلفة معقدة هى التى يجب ان تنكب عليها لتوفير الوسائل الكفيلة بحلها .

ففى اطار التعريف بهذه المشاكل قمت منذ ازيد من عشر سنوات بالقاء سلسلة محاضرات كمسؤول عن مكتب تنسيق التعريب آليتها من الخليج الى الجزائر مارا بالقاهرة حيث القيت خلال شهر ابريل 1975 سلسلة اخرى فى معهد الدراسات والبحوث العربية حول « التعريب ومستقبل اللغة العربية » وكانت هذه المحاضرات دقات صارخة لاجراس الخطر فى غير تشاؤم ولكن فى واقعية تستمد من الارقام ومن معطيات تطور اللسنيات الحديثة فى العالم المعاصر .

ان دولاب الحياة يدور بسرعة والمصطلح العلمى يتزايد يوميا بنسبة خمسين كلمة كل صباح وبعض الدول العظمى كفرنسا اصبحت تشعر بالعجز عن مسايرة الركب دون ان تخضع لدخيل يغزو لغتها — دخيل ينطلق من دول عظمى اخرى اصبحت تتحكم بكشوفها العلمية فى تكييف المصطلح التكنولوجى الحديث ... فعندما نضع معجما — مع فرض استكمال مفاهيم موضوع هذا المعجم وهذا غير صحيح لا بالنسبة لمعاجمنا ولا بالنسبة للمعاجم الموجودة فى مختلف اللغات — نقول عندما نضع هذا المعجم نظل

---

1) كلمة القاها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى ندوة استراتيجية التربية والتعريب التى انعقدت عاصمة الجزائر بين 5 و8 مايو 1975 .

خلال عدة سنوات ــ نحن العرب ــ نتارجح فى دوامة يدفعنا احد عواملها الى آخر حتى تمر سنوات قبل ان يبرز المعجم للوجود فيبرز ناقصا نقصا مزريا لان خلال هذه السنوات تكون مادة المعجم العلمية قد تزايدت مصطياتها باعتبار تزايد عدد مصطلحاتها المستجدة ولو بنسبة مصطلح واحد من خمسين مصطلحا فى كل يوم ! هذا من جهة ومن جهة اخرى يضيع العالم العربى كثيرا من وقته الثمين بين توان وتواكل او مجانبات هامشية تخطت حدود الحقل السياسى لتنعكس على المجال الثقافى نفسه فتجد دولا عربية او هيئات داخل دول عربية تتمسك بمصطلح تمسكا بليغا لمجرد كونه وليدا عزيزا عليها او لحنا شهر لديها فتنقلب المجانبات الى مماحكات تؤدى احيانا الى مساومات على حساب قيمة الكلمة علميا او جزالتها وحيويتها ! وهذا هو ما يقع فى مؤتمراتنا وليس المشكل فى هذه الحالة مشكل منهجية فمنهجيات المجامع العربية والهيئات اللسنية منهجيات لا تقل رصانة وعمقا وانضباطا عن منهجيات غيرها ولكنها منهجيات تتدافع لان وراءها خلفيات ليست وليدة تفكير عربى ولا مقحمة اقحاما مفرضا فى هذا التفكير العربى بل انها تشكل ــ سواء شعرنا بذلك ام لم نشعر به ــ رواسب لاستعمارين مختلفين يتقاربان تارة ويتدافعان تارة اخرى هما الاستعمار الانجلوسكسونى والاستعمار الفرنسى فاذا استعرضنا مجالات الخلاف بين مجمع وآخر ومعهد لسنى وآخر حول مصطلح ما نجد فى كثير من الاحيان ان سر الخلاف كامن فى اختلاف اللغتين اللتين يستند اليهما كمصدر للتعريب او التوليد ، وقد شكلت هذه الظاهرة بالنسبة لمكتب تنسيق التعريب عاملا خطيرا لان عناصر مفتعلة تسربت مع الزمن الى تراثنا فطبعت الكثير من مناهجنا سواء فى التربية او باقى مناحى الحياة واصبحنا ضمن دفاعنا عن التراث ندافع عن رواسب استعمارية دون وعى فعال منا والا فلماذا هذا الخلاف فى التفكير والتدبير بين شقى العروبة فى ميدان التربية والتعريب ؟ بل حتى فى كثير من الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية !؟

فهل تساءلنا لماذا نجح الصهاينة فى احياء لغتهم العبرية الميتة بينما نتعثر نحن فى احلال لغتنا الحية المقام الذي كان لها فى العصور الوسطى كلغة علم وحضارة !؟

هذا سؤال لا يخرج عن نطاق هذه الندوة لان هذه الندوة مطالبة باستقصاء اسباب الضعف والركود فى مقومات اللغة ومعطيات التربية فى الوطن العربى ولان تجارب الغير فى ميدان اللسنيات وغير اللسنيات يجب ان تكون لنا عبرة فى اختياراتنا ! ان دويلة اسرائيل قد جعلت من العبرية لغة التعليم فى الطب والهندسة والعلوم فى الجامعات لانها اخذت الامر بجد ووحدت خطتها بجد وعبأت ماتتى خبير لا شغل لهم الا تتبع ما يستجد من مصطلح لعبرنته فى الحين واصدار مرسوم حكومى فى الحين بالزاميته فى التدريس والتاليف وباقى اجهزة التعبير فى الدولة .

ان مجمع القاهرة قد ولد مائة الف مصطلح منذ انشائه ولكن الكثير منها ــ بالرغم عن جودته مات فى الرفوف لعدم الالزامية وقد بعث فى نفوسنا روح الامل ما صرح به وزير التربية الجزائري فى خطابه الختامى للمؤتمر الثانى للتعريب من تعهده بان تكون الجزائر اول من يلتزم باستعمال هذا المصطلح الموحد بل وعد السيد رئيس الدولة الهواري بومدين علانية بلته سيعمل على تحقيق هذه الالزامية باثارة القضية فى احدى دورات مؤتمر القمة ونرجو ان يتم ذلك .

نعم ان الاستعمال الالزامى هو القوام الحقيقي لحياة هذا الكائن الذي هو المصطلح ولكن هذا الاستعمال لن يكون فعالا اذا لم توفر له شروط منطقية مثل توحيد الكتاب العلمى لكل اجزاء العالم العربى ! فاذا كنا حقا امة عربية واحدة لنا لغة واحدة وتراث واحد فلماذا لا توحد مناهج تربيتنا ومقومات هذه المنهجية !؟ ان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عندما قرنت مشكل التعريب بمشكل التربية انما قرنت عنصرين متكاملين لا ينطلق احدهما بدون الآخر ولذلك فان ندوتكم هذه تشكل اول ندوة فى تاريخ العروبة اضطلعت برسالة خطيرة هى البحث عن وسائل دعم التعريب الصحيح بوحدة فى الفكر وفى منهجية الفكر ونرجو ان لا ننتبه فى الجزئيات وان نعمل ــ والمشكل واضح والحل ايضا واضح ــ على تكليل اعمالنا بتوصيات لا تكون كتوصيات ندوات اخرى تعاقبت فى العالم العربى ومحا لاحقها ما قرر سابقها ! ان الامر جد وان الوضع لشديد الخطورة وان هذه الوحدة التى نستهدفها اليوم هى وحدة مصيرية لانها تشكل المقوم الاول لكل الوحدات الاخرى اذ ان توحيد الفكر هو المنطلق الاساسى الذي لا يمكن ان يتحقق بدون استكمال عناصر اية وحدة اخرى .